۱۶۵۴۵

مجلّه	الازهر
تاریخ نشر:	ربیع الثانی ۱۳۹۷
شماره ..	۴ سال ۴۹
شماره مسلسل	
محلّ نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	محمد عبدالرحمن الکردی
تعداد صفحات	۷۵۹ - ۷۶۹
موضوع	صور من البلاغة فی تفسیر الکشاف للزمخشری
سرفصلها	
کیفیّت	
ملاحظات	

١٦٥٣٥

صور من البلاغة في تفسير الكشاف للزمخشري

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي

يقول جار الله أبوالقاسم محمود ابن عمر الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) في مقدمة(١) تفسيره : « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل » : « ثم أن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم ، كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ، فالفقيه وان برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وان بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحفظ القصص والأخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين : تحقيق ، وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ، ورد ورد عليه

(١) مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري : ج ١ ص ك

٤٩/٢

فارسا فى علم الاعراب ، مقدما فى حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مستعل القريحة وقادها ، يقظان النفس دراكا للحة وان لطف شأنها ، منتبها على الرمزة وان خفى مكانها ، لاكزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع الى مضايقه ، ووقع فى مداحضه ومزالقه » .

فى هذه المقدمة يجعل الزمخشرى علم المعانى وعلم البيان مختصين بالقرآن الكريم ويجعل أقدر العلماء على التفسير من برع فى هذين العلمين ، « وتمهل فى ارتيادهما أزمنة » ، وكان « متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر » ، وهو بذلك يجعل الأساس فى التفسير علمى المعانى والبيان وان كان قد أشار الى ما ينبغى على المفسر مع امتلاكه زمام هذين العلمين أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، ومن هنا فان تفسيره الكشاف قد جاء حافلا بصور من البلاغة يجليها فى مقدرة بالغة ، ويظهر آياتها فى دقة متناهية ، ونحن نشير فى هذا المقال الى أمثلة من هذه الصور البلاغية التى حفل بها تفسيره الكشاف .

فقد قال فى تفسيره(١) قول الله تعالى فى سورة فاتحة الكتاب : « اياك نعبد واياك نستعين » : فان قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، قد يكون من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » ، وقوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه » وقد

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ١١ ـ ١٢

التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالاثمد
ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءنى
وخبرته عن بنى الأسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ، لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل : اياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة ، لانعبد غيرك ، ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به . فان قلت : لم قرنت الاستعانة بالعبادة ؟ قلت : ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته ، فان قلت : فلم قدمت العبادة على الاستعانة ؟ قلت : لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ، ليستوجبوا الاجابة اليها ، فان قلت لم أطلقت الاستعانة ؟ قلت : ليتناول كل مستعان فيه ، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله : « اهدنا » بيانا للمطلوب من المعونة ، كأنه قيل : كيف أعينكم ؟ فقالوا : « اهدنا الصراط المستقيم » وانما كان أحسن لتلائم الكلام ، وأخذ بعضه بحجزة بعض .

بهذا القول يعرض الزمخشرى ما فى الآية الكريمة من الالتفات بنقل أسلوب الكلام من الغيبة الى الخطاب ، ولكنه لا يقف عند هذه الصورة من الالتفات فى الآية بل يتجاوزها حين يشير الى بعض صور الالتفات فى آيات أخر وفى أبيات امرىء القيس الثلاثة ، وهو

وان لم يستوف صور الالتفات كلها الا أنه قد نبه الى نكته العامة ، ثم دل على نكته الخاصة بهذا الموضع من الآية الكريمة فى روعة بالغة تومىء الى بصره النافذ وذوقه الناضج كما يعرض من خلال تفسيره للآية ما يفيده التقديم فيها من التخصيص حين يقول: « لا نعبد غيرك ولا نستعينه » وهو يدل بذلك على ما يتضمنه التقديم من النفى عن الغير مع الاثبات للمذكور بمقتضى التخصيص المستفاد من التقديم ، واشارته الى ما فى الآية من التخصيص اشارة سريعة لم تتجاوز الدلالة عليه بنفى العبادة والاستعانة عن غيره سبحانه وتعالى.

وكذلك يعرض التلاؤم والتوافق بين ألفاظ هذه الآية وألفاظ ماقبلها وما بعدها من آيات السورة بحيث يصبح من المحال مع هذا التلاؤم أن تستبدل بكلمة من الآيات كلمة أخرى أو أن تحول كلمة من مكانها، وذلك بأن نسق السورة يؤدى الى هذه الوحدة الكاملة بتوافق ألفاظها وتلاؤمها بحيث لا يتأتى أن يحول لفظ منها عن مكانه كما لا يتأتى أن يغنى لفظ آخر عن لفظ من آيات السورة ، « لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزه بعض » وقال فى تفسيره(١) قول الله تعالى فى سورة البقرة : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون » : لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى ، ولأمر ما ، أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٤ — ٥٦

الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ومن سور الانجيل سورة الأمثال ، والمثل فى أصل كلامهم : بمعنى المثل وهو النظير ، يقال : مثل ومثل ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بموروده : مثل ، ولم يضربوا مثلا ،ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتداول والقبول ، الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير ، فان قلت : مامعنى: « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » وما مثل المنافقين ، ومثل الذى استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟ قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا ، وكذلك قوله : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها ، ولله المثل الأعلى : أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة، « مثلهم فى التوراة » أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه ، ولما فى المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن .. ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام ، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ، ألا ترى الى قوله : « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ، ويتهدوا بها فى طرق العبث ، فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، فان قلت : كيف صح فى النار المجازية أن توصف باضاءة ما حول المستوقد ؟ قلت : هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره » .

فى هذا التفسير يبين الزمخشرى قيمة التمثيل وتأثيره فى تقريب المعنى وتوضيحه حتى يبدو المعنى المتخيل محققا والمتوهم متيقنا والغائب

كأنه مشاهد فضلا عما فيه من تبكيت الخصم وقمع الجامح ، ولهذا كثر التمثيل فى كلام الله سبحانه وتعالى، وفى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نبه الى أن المثل فى الآية مستعار للحال أو الصفة أو القصة على نحو ما استعير الأسد للمقدام، وهو بهذا يشير الى أن استعارة المثل للحال أو الصفة أو القصة استعارة تصريحية أصلية ، ويشير الى أن حالة المنافقين الذين قالوا كلمة الاسلام لم يجاوزوا بها أطراف ألسنتهم وبقيت قلوبهم مظلمة بالكفر شبهت بحالة من استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، فكما أن المنافقين لم ينتفعوا بكلمة الحق التى أظهروها كذلك لم ينتفع المستوقد بالنار التى أضاءت ماحوله لأن الله ذهب بنورهم فأصمهم وأبكمهم وأعماهم ، والمشبه والمشبه به كل منهما صورة مركبة من عدة أمور امتزج بعضها ببعض حتى حدث لها بالتركيب صورة جديدة غير التى كانت لكل منها على الانفراد والشبه منتزع من هذه الأمور العدة التى تداخلت ، فليس الشبه مأخوذا من المستوقد وحده حتى يضاف اليه اضاءة النار ما حوله وليس مأخوذا منه والضوء من حوله حتى يضاف اليه ذهاب الله بنوره وتركه فى عمى وضلالة وظلام ، فالتشبيه فى الآية من قبيل تشبيه التمثيل المركب الذى ينتزع فيه الشبه من عدة أمور متداخلة بعضها فى بعض وممتزجة امتزاجا يحدث لها صورة جديدة غير التى كانت لها على انفرادها ومثل ذلك قوله تعالى فى شأن اليهود الذين حفظوا التوراة ولم ينتفعوا بها : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » وقد أشار الى جواز أن تكون النار مستعارة للفتنة أو لعداوة الاسلام على حد الاستعارة التصريحية الأصلية يدل لاستعمالها فى هذا المعنى مجازا قول الله تعالى: « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » وقد قرنت الاستعارة بما يلائم المستعار من الاطفاء ترشيحا.

وكذلك أجاز أن تكون النار مستعملة فى معناها الحقيقى ويكون الضالون العصاة قد أوقدوها ليستعينوا بضوئها على بعض المعاصى ويضوا بها فى طرق العبث فأطفأها الله وخيب أمانيهم ، ويمضى فى بيان المناسبة بين حالى المنافقين والمستوقد فيقول : « فان قلت : فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت : فى أنهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة ، وتورطوا فى حيرة ، فان قلت : وأين الاضاءة فى حال المنافق؟ وهل هو أبدا الا حائر خابط فى ظلمات الكفر ؟ قلت : المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ، ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق ، والأوجه أن يراد الطبع لقوله : « صم بكم عمى » وفى الآية تفسير آخر : وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى باعوه بالنار المضيئة ماحول المستوقد ، والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم ؛ أما قوله تعالى « صم بكم عمى » فيقول فى تفسيره : « فان قلت : كيف طريقته عند علماء البيان ؟ قلت : طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان ، ويجوز للأسخياء الا أن هذا فى الصفات وذاك فى الأسماء ، وقد جاءت الاستعارة فى الأسماء والصفات والأفعال جميعا ، تقول : رأيت ليوثا ، ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام ، وأضاء الحق ، فان قلت: هل يسمى ما فى الآية استعارة؟ قلت : مختلف فيه ، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ، ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول

اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام » (١) .

وهكذا نرى فى تفسير الزمخشرى ذلك المعرض لصور من البلاغة يدل على مكانها من الآيات بذوق البليغ المتمكن وحس الأديب الذى يمضى فى تفسيره على بصيرة بمواطن البلاغة فى صورها التى تحفل بها آيات القرآن الكريم فى أعلى درجاتها البالغة حد الاعجاز .

ويمضى الى قوله تعالى : « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شىء قدير » .

فيقول : « ثم ثنى الله سبحانه فى شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ، وايضاحا غب ايضاح ، وكما يجب على البليغ فى مظان الاجمال والايجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل والاشباع أن يفصل ويشبع ، أنشد الجاحظ :

يوحون بالخطب الطوال وتارة
وحى الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل فى التنزيل قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٢) وهو بهذا يشير الى ما ينبغى مراعاته مما يقتضيه المقام من الايجاز أو الاطناب ثم أخذ فى توضيح التمثيل فى هاتين الآيتين فقال : « فان قلت : قد شبه المنافق فى التمثيل الأول بالمستوقد نارا ، واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فماذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق ؟ قلت : لقائل

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧ — ٥٨
(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٩ — ٦٠

أن يقول : شبه دين الاسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى : أو كمثل ذوى صيب ، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة ، فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات ؟ وهلا صرح به كما فى قوله : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » وفى قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

قلت : كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » ، « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل » والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة ، لا يتكلف الواحد واحد شىء يقدر شبهه به ، وهو القول الفحل والمذهب الجزل ، بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها ، كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها ، كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة » الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة : وآياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة ، وتساوى الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك الا بما يسر بدفيه من الكد والتعب ، وكقوله : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر ، فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض

ومصيره شيئا واحدا فلا ، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ، فان قلت : الذى كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك : « كمثل ذوى صيب » هل تقدر مثله فى المركب منه ؟ قلت : لولا طلب الراجح فى قوله تعالى : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم » ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره ، لأنى أراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام ، فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ، ألا ترى الى قوله : « انما مثل الحياة الدنيا » الآية كيف ولى الماء الكاف ، وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، ومما هو بين فى هذا قول لبيد :

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلا قع

لم يشبه الناس بالديار ، وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها ، وتركها خلاء خاوية ، فان قلت : أى التمثيلين أبلغ ؟ قلت : الثانى ، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر ، وهم يتدرجون فى نحو هذا من الأهون الى الأغلظ فان قلت : لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك ؟ قلت : أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك ، وذلك قولك : جالس الحسن أو ابن سيرين ، تريد أنهما سيان فى استصواب أن يجالسا ، ومنه قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » أى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما ، فكذلك قوله : « أو كصيب » معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين ، وأن القصتين سواء فى استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ،

فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وان مثلتهما بهما جميعا فكذلك » (١) .

أرأيت كيف صار التفسير عند الزمخشرى معرضا حافلا بصور البلاغة ذات التأثير البالغ ، ثم أرأيت كيف يصور التشبيه فى المثلين على التعدد بمقابلة كل أمر بما يناسبه ثم يضرب عن ذلك صفحا ليختار تصوير التشبيه على التركيب بتداخل الأمور بعضها فى بعض وامتزاج بعضها ببعض تلك الأمور التى تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا أى ألف صورها المفردة قد تلاشت حين تداخلت وامتزجت وتكون منها صورة أو كيفية جديدة غير تلك التى كانت لكل منها على انفراده ، والزمخشرى لا يكتفى بما فى الآيات التى يفسرها من تشبيه مركب أو متعدد ولكنه يأتى بالشواهد لكل نوع فى آيات أخرى وفى أبيات من الشعر .

وقال فى تفسيره قول الله تعالى : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » : « النقض : الفسخ وفك التركيب ، فان قلت : من أين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ، ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة : « يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى أن الله عز وجل أعزك وأظهرك ان ترجع الى قومك » وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شىء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس ، واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش » (٢) .

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٦٠ — ٦٢

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٩٠